﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦﴾ [ص: 16]

مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قبلَها:

حكايةُ استخفافِ المشركين بالتَّهديد وتكذيبِهم بيوم الحساب والوعيد

بعد أن هدَّد اللّهُ تعالى في الآية السّابقة بمعاقبة المشركين بصيحةٍ واحدةٍ ما لها من فَواقٍ؛ جزاءَ تكذيبِهم رسولَ اللّهِ وتحزُّبِهم ضدَّهُ؛ ناسب أن تحكيَ هذه الآيةُ استخفافَهم بذلك التَّهديد، وتكذيبَهم بيوم الحساب والوعيد، مِن خلال إيرادِ طلبِهم تعجيلَ العذابِ قبل مجيء يوم الحساب؛ إظهارًا لِعدمِ اكتراثِهم بالوعيدِ، وعدم تصديقِهم النَّبيَّ ﷺ في كُلِّ وعيدٍ، حتّى الوعيدِ بِعَذابِ الدُّنيا الَّذي يَعتَقِدونَ أنَّهُ في تصرُّف اللّهِ[1].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عَجِّل﴾: (عجل) تدُلُّ على الإسراعِ، ومنه: العَجَلَةُ في الأمرِ، يُقالُ: هو عَجِلٌ وعَجُلٌ[2]، وهي طلبُ الشَّيء وتحرّيه قبلَ أوانِه، وهو مِن مقتضى الشَّهوة، قال تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ٣٧﴾ [الأنبياء: 37]، وقال: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [طه: 114]، وقال: ﴿*وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ﴾ [طه: 83][3].

2) ﴿قِطَّنَا﴾: (قطّ) أصلٌ صحيحٌ يَدُلُّ عَلى: قَطْعِ الشَّيءِ بِسُرعَةٍ عَرضًا، يُقالُ: قَطَطْتُ الشَّيءَ أقُطُّهُ قَطًّا، ومِنه القِطُّ، وهو: الصَّكُّ بالجائِزَةِ، وبِهِ يُفَسَّرُ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾، كأنَّهم أرادوا كُتُبَهُمُ الَّتي يُعطَونَها مِنَ الأجرِ في الآخِرَةِ[4].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 224.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (عجل).
(3) الراغب، مفردات اللغة: (عجل).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قطّ).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تحكي الآيةُ الكلامَ الَّذي قاله المشركون الجاهلون بعد تهديدِهم بالصَّيحة الصّاعقة الَّتي لا فواقَ لها، فتوَضِّحُ أنَّهم دعوا الله تعالى - استهزاءً وسخريةً - بأن يُعَجِّلَ لَهم نصيبَهم مِنَ العذاب الذي تَوَعَّدَهم به، وألّا يؤخِّرَه عنهم إلى يوم الحساب[1].

المشركون يَدْعون الله بإنزال العذابِ الَّذي تَوَعَّدَهُم به في الدُّنيا قبل الآخرة

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو ودلالتها: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا﴾:

الواو في قوله: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا﴾ لعطف ما بعدها عَلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾؛ إذ توضِّح السّورةُ أنَّ القومَ تعجَّبوا لشبهات ثلاث، أوَّلُها: تَتَعلَّقُ بالإلَهيّاتِ، وهو قَولُهُ: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾، والثّانيةُ: تَتَعَلَّقُ بالنُّبوّاتِ، وهوَ قَولُهُ: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ﴾، والثّالثةُ: تَتَعلَّقُ بالمعادِ، وهو قولُهُ تَعالَى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾؛ وذلِكَ لأنَّ القومَ كانوا في نهايَةِ الإنكارِ لِلقَوْلِ بِالحَشْرِ والنَّشرِ، فكانوا يَستَدِلّونَ بِفَسادِ القَولِ بِالحَشرِ والنَّشرِ عَلى فَسادِ نُبوَّتِهِ ﷺ[2].

مبالغةُ المشركين في الإنكارِ والتَّحدّي

دلالةُ التَّعبيرِ بفعل القول مسندًا إلى ضمير الجماعة:

تعبيرُ القرآنِ بفعل القولِ الموضوع لإبراز ما يُتَصوَّر في النَّفس[3]، فيه دلالةٌ على أنَّ ما نطقت به ألسنةُ المشركين، وحكاه عنهم القرآنُ الكريمُ، فيه إقرارٌ منهم بإنكار البعثِ، وتكذيبُ رسولِ الله في كلِّ ما يقول، ويخبرُ به، كما أنَّه دليلٌ على استهانتهم بالعقاب الَّذي توعَّدَهم الله تعالى به في الدُّنيا والآخرة.

المشركون مجتمعونَ على إنكار البعثِ وتكذيبِ الرَّسول

وأُسنِدَ فعلُ القول إلى ضمير الجماعة العائد إلى المشركين مع

ما يقوله بعضُ الكافرين ترجمةٌ لما هو راسخٌ في نفوسِهم أجمعين

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 347، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 140.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 373، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 225.
(3) الراغب، مفردات القرآن: (قول).

أنَّ القائل هو: النَّضر بن الحارث، أو أبو جهل؛ لأنَّ القوم كانوا حاضرين المجلسَ الَّذي قيل فيه ذلك الكلامُ، ورضوا به جميعًا، ولم يعترِضْ أحد منهم عليه[1].

الغرضُ من حذف حرف النِّداء:

عـادة المشركين إيهام المخاطَبين بأنَّهم قريبون مـن اللـه متَّصلون به

﴿رَبَّنَا﴾ هو بداية قولِ المشركين، الذي يحكيه القرآنُ الكريم، وهو أسلوبُ نداءٍ حذفَ الكفارُ ياءه؛ للإيهام بأنَّهم قريبون مِنَ الله تعالى، وأنَّه مطَّلع عليهم، عالم بما يشغَلُهم، وتعتمل به صدورهم، وأن ذلك يغنيهم عن استعمال حرف النِّداء المُشعر بوجود فجوةٍ بين الرَّبِّ سبحانه وبين المبتهل المتضرِّع، وذلك كلُّه مِن باب الكذبِ والاستخفاف، كما هو العهدُ بهم.

الغرضُ من النِّداء بعنوان الرُّبوبيَّة، وسرُّ مجيئه مضافًا:

إمعانُ المشركين في الاستهزاء، كأنَّهم يدعون بكمال الرَّغبة والابتهال

في ندائِهم اسمَ الرَّبِّ الموضوع للعناية والرِّعاية والتَّعهُّد[2] في قولهم: ﴿رَبَّنَا﴾ إمعانٌ في الاستهزاء، كأنَّهم يطلبون ذلك بكمال الرَّغبة وصِدق الابتهال[3]، وفي إضافتهم اسمَ الرَّبِّ إلى ضميرهم تَظاهرٌ بالإقرار بربوبيَّةِ الله، وإشعار باختصاصه برعاية مصالحهم، وتعهُّد أمورهم، وكأنَّ ما يَدَّعون به من تعجيل العذاب مصلحةٌ أكيدةٌ، ومنفعةٌ مُلِحَّةٌ، يتوسَّلون إلى الله لتحقيقها.

الغرضُ مِن التَّعبير بفعل الأمر: ﴿عَجِّل﴾:

قولُهم بعد النِّداء: ﴿عَجِّل﴾ فعل أمر غرضُه التَّوسُّل والتَّرجّي بإنزال ما يطلبون على وجه السُّرعة، لِما في التَّعجيل به من المصلحةِ والإحسان من وجهةِ نظرهم[4].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 225.
(2) الراغب، مفردات القرآن: (رب).
(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 166.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 347.

الغرضُ مِن تقديم المجرور على المفعول به:

آثرَ المكذِّبون تقديمَ الجارِّ والمجرور: ﴿لَّنَا﴾ على المفعول به: ﴿قِطَّنَا﴾؛ لإبراز شدَّة اهتمامهم بالاطِّلاع على ما ينتظرهم في الآخرة، أو على صحائفِهم التي دوِّنت فيها أعمالهم، على سبيل الاستهزاء والسُّخرية.

المشركون شديدو الاهتمامِ بمعرفة ما ينتظرهم في الآخرة

دلالةُ التَّعبيرِ بالـ(قِطّ)، والغرض من إضافته:

الـ(قِطّ) يعني: القسطَ مِنَ الشَّيءِ؛ لأنَّه قطعةٌ منه، ويقال لصحيفة الجائزة: قِطٌّ؛ لأنَّها قطعةٌ مِن القرطاس، وقد فُسِّر بهما، فقيل معناه: نصيبنا مِنَ العذاب الَّذي وعدته، كقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [الحج: 47]، وأيًّا كان المقصودُ، فطلبُ الكافرين تعجيلَ أمرٍ من أمور الآخرة، وإضافته إلى ضميرِهم إضافةَ تخصيصٍ، فيه ما لا يخفى مِنَ الاستهزاء والإنكار لحقيقة البعثِ وما فيه من حسابٍ وعقابٍ، كما هي عادتُهم، فبعد أن سلكوا مسلكَ الإنكار الصَّريح في مواضع أخرى يسلكون هنا مسلك الإنكارِ المصحوب بالسُّخرية والاستهزاء.

عادةُ الكافرين إنكارُ ما يتَّصل بأمر البعث وما فيه من حسابٍ وعقابٍ

سِرُّ تقييد الفعلِ بالظَّرف ﴿قَبْلَ﴾:

وتعبيرُهم بالظَّرف ﴿قَبْلَ﴾ دلالةٌ على رغبتِهم في حصولِ ذلك في أيِّ وقتٍ، قبل يوم الحساب؛ إذ جعلوا جميعَ الزَّمانِ الَّذي بينهم وبينه ظرفًا لذلك، وجعلوا تعجيلَهُ مِنَ الإحسان إليهم دلالةً على الإغراق في الاستهزاء[1].

الغرضُ مِنَ التَّعبيرِ عَنِ الآخرةِ بـ ﴿يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾:

آثر الكفّارُ التَّعبيرَ عن الآخرةِ بـ ﴿يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ دونَ غيرِهِ مِنَ الأسماء؛ لمزيد من السُّخرية والإنكار، ذلك أنَّهم لا يؤمنون بالحسابِ أصلًا، ومن كفرَ بالحسابِ؛ فإنَّه يكفر بالآخرة، وينكرُ ما

الكفّار يعبِّرون بيومِ الحساب دونَ غيرِهِ لمزيد مِنَ السُّخرية والإنكار

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 347.

فيها من بعثٍ وعقابٍ، وكأنَّ المعنى: عَجِّل لنا نصيبَنا في الدُّنيا قبل يوم الحسابِ؛ لأنَّنا لا نؤمن بوقوعِهِ[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

يوم الحساب ويوم البعث ويوم القيامة:

الأوَّل روعيت في تسميتهِ جزئيَّة الحساب، والثاني جزئيَّة البعث، والثالث جزئيَّة القيام

ثلاثتها مِن أسماء يوم القيامة، لكن الأوَّل روعيت في تسميته جزئيَّةُ الحسابِ، الَّتي هي أعظمُ ما يقع في يوم القيامةِ، والأشدُّ وقعًا في القلوب، لكون الحسابِ كاشفًا عن حال المرءِ[2]، كما أنَّ وقوع الحساب "مُفصِحٌ عن تحقُّق القيام الَّذي هو مقتضى المقام"[3]، والثاني روعيت في تسميته جزئيَّةُ البعث، التي هي أوَّلُ ما يحدث في القيامة، وكلُّ ما فيه مِن أحداثٍ وأهوال يأتي تبعًا لها، فمَن أنكرها؛ أنكرَ ما في يوم القيامةِ كلِّهِ، والثّالث روعيت في تسميته جزئيَّةُ القيام للحشر والحساب والجزاء، إمّا بالثّواب وإمّا بالعقاب.

ولأنَّ السياق جاء لإبرازِ استخفاف الكافرين بالعذاب الَّذي توعَّدهم به الحقُّ ﷻ؛ كان تعبيرُهُم بـ ﴿ٱلْحِسَابِ﴾ أدلَّ على ذلك، لما في التَّعبير به من إظهار عدم الاكتراثِ بالقيامة كلِّها؛ إذ الحساب أشدُّ ما فيها، كما أنَّ مصير النّاس في الآخرةِ يتحدَّد وفقًا لموقفهم فيه، ومِن ثَمَّ فإنَّ إظهارَ استخفافِهم به يترتَّب عليه استخفافُهم بالقيامة كلِّها، وبكلِّ ما فيها.

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 141.
(2) إسماعيل حقي، روح البيان: 5/ 346.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 4/ 399.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»